١٧٥٩ ك

وقف على خزانة السلطان العلية العثمانية
من مصطفى الفتى

الجزء الأول من كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

تصنيف الوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر الله
ابن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري
رحمه الله

انتظم في عقد عقد الفقير الخاطي
والساهي محمد بن محمد الشهير بالشباك
حف بالمن الالهي

وقف صحيح الأصل
على الفقير المعتقد
أن الحج من المدرسة التي
أنشأها بقسطنطينية
١١٣٠
١٧٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

نسأل الله ان يبلغ بنا من الحمد ما هو اهله وان يعلمنا من البيان ما تقصر عنه
مزية النطق وفضله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب اليه ان
يوفقنا للصلاة على رسوله محمد الذي هو افصح من نطق بالضاد ونسخ بعدله
شريعة كل هاد وعلى اله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من
صابر وصبر ومنهم من آوى ونصر اما بعد فان علم البيان لتأليف
النظم والنثر بمنزلة اصول الفقه لاستنباط ادلة الاحكام وقد
الف الناس فيه كتبا جلوا ذهبا وحطبوا حطبا وما من تأليف الا وقد
تصفحت سبته وشبهته وعلمت غثه وسمينه فلم اجد ما ينتفع به في ذلك
الا كتاب الموازنة لابي القاسم الحسن بن بشر الامدي وكتاب سر الفصاحة
لابي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي غير ان كتاب الموازنة اجمع اصولا واحدي
محصولا وكتاب سر الفصاحة وان بنه فيه على نكت مفيدة فانه قد
اكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الاصوات والحروف والكلام
عليها ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة الى اكثره ومن
الكلام في مواضع اخر شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان ذلك كله في مواضعه
من هذا الكتاب على ان كلا الكتابين قد اهمل من هذا العلم ابوابا ولربما ذكر
بعض المواضع قشورا وترك لبابا وكنت عثرت على ضروب كثيرة
منه في غضون القرآن الكريم ولم اجد احدا ممن تقدمني تعرض لذكر شيء منها
وهي اذا عدت كانت من هذا العلم بمقدار شطره واذا نظر الى فوائدها

وقف

وجدت محويا عليه باسره وقد اوردتها هاهنا وشفعتها بالضروب الاخر
المدونة في الكتب المتقدمة بعد ان حذفت منها ما حذفته واضفت اليها ما اضفته
وهذا اني الله لابتداع اشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ومبلغي درجة الاجتهاد
التي لا تكون اقوالها تابعة وانما تكون متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف
على كتابي هذا وعلى غيره من الكتب وقد بنيته على مقدمة ومقالتين فالمقدمة
تشتمل على اصول علم البيان والمقالتان تشتملان على فروعه فالاولى في الصناعة
اللفظية والثانية في الصناعة المعنوية ولا ادعي فيما الفته فضيلة الاحسان
ولا السلامة من سلق اللسان فان الفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته

وليس بالاحسان ظنا لا كمن هو باينه وبشعره مفتون

فان قيل اذا تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع في اغراضه وليس له صاحب من
الكتب فيقال انه مفرد من بين اصحابه ومع ذلك فاني اثبت بظاهر
هذا العلم دون خافيه وجمت حول حماه ولم اقع فيه اذا الغرض انما هو الحصول
على تعليم الكلم التي بها تنظم العقود وتشرع وتحلب العقول فتخدع وذلك
شيء مجمل عليه الخواطر لا تنطق به الدفاتر فاعلم ايها الناظر في كتابي
ان مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذي هو انفع من ذوق التعليم
وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك استاذا واذا سألت عما ينتفع
به في فنه قيل لك هذا فان الدربة والادمان اجلى عليك نفعا واهدى بصرا
وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا وكل
جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط بادمانك

ما اخطاك وما مثلي فيما مهدت لك من هذا الطريق الا كمن خبع ثعلبا وضبعه
بيمينك لتقاتل به وليس عليه ان يخلق لك فلبا فان حمل النضال غير مباشره
القتال وانما بلغ الانسان غايته ما كل ما يشبه بالرجل رجال
ولنرجع الى ما نحن بصدد ذكره فنقول اما مقدمة الكتاب فانها تشتمل على
عشرة فصول (٥)

الفصل الاول
في موضوع علم البيان

موضوع كل علم هو الشيء الذي يسأل فيه عن احواله التي تعرض لذاته موضوع
الفقه هو افعال المكلفين والفقيه يسأل عن احوالها التي تعرض لها من الفرض
والنفل والحلال والحرام والندب والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن
الانسان والطبيب يسأل عن احواله التي تعرض له من صحته وسقمه وموضوع
الحساب هو الاعداد والحاسب يسأل عن احوالها التي تعرض لها من القرب
والقسمة والنسبة وغير ذلك وموضوع النحو هو الالفاظ والمعاني
والنحوي يسأل عن احوالهما في الدلالة من جهة الاوضاع اللغوية وكذلك
يجري الحكم في كل علم من العلوم وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه
ولم يختلط بغيره وعلى هذا موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه
يسأل عن احوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحوي يشتركان في
ان النحوي ينظر في دلالة الالفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك
دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة
خاصة والمراد بها ان تكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك امر

ور النحو والاعراب الا ترى ان النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور
ويعلم مواقع اعرابه ومع ذلك فانه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة
ومن ها هنا غلط مفسروا الاشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيه من
الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الاعراب منه دون شرح ما تضمنه من
اسرار الفصاحة والبلاغة

الفصل الثاني
في آلات علم البيان وادواته

اعلم ان صناعة التأليف
الكلام من المنثور والمنظوم تفتقر الى آلات كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب
ان يتعلق بكل علم حتى قيل ان كل ذي علم يسوغ له ان ينسب تقسه اليه فيقول
فلان النحوي وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له ان ينسب تقسه الى
الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر اليه من الخوض في كل
فن وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن ثم طبع فانه لا تغني تلك الآلات
شيئا ومثال ذلك مثل النار الكامنة في الزناد والحديدة التي تقدح بها
الا ترى انه اذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا وكثيرا
ما رأينا وسمعنا من غرائب الطباع في تعلم العلوم حتى ان بعض الناس يكون
له نفاذ في تعلم علم مشكل المسلك صعب المأخذ فاذا كلف تعلم ما هو
دونه من سهل العلوم نكص على عقبيه ولم يكن له فيه نفاذ واعرب من
ذلك ان صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء او في الهجاء
دون المديح او يجيد في المراثي دون التهاني او في التهاني دون المراثي
وكذلك صاحب الطبع في المنثور هذا ابن الحريري صاحب المقامات

فشبه النهار المشمس مع الزهر الابيض بضوء الشمس وهو تشبيه حسن واقع في موقعه
مع ما فيه من لطف الصنعة ودل بما اعترض في هذا الموضع معترض وقال انك اوردت
هذا القسم من التشبيه وذكرت له قليلا وليس كذلك فان تشبيه شيئين بشيء
واحد كثير كقول ابي الطيب المتنبي

تشرق اعراضهم واوجههم كانها في نفوسهم شيم

فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم الجواب عن ذلك ان قول
هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته فاني اردت ان اشبه
شيئا هما كشيء واحد في الاشراك بشيء واحد لا ترى ان نور الشمس مع بياض الزهر
وهما شيئان مشتركان قد شبههما بضوء القمر واما هذا البيت الذي لابي الطيب
المتنبي فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما منفرد بر أسه بشيء واحد لانه شبه
اشراق الاعراض باشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما اردته انا لكن ينبغي
ان تعلم ان تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين احدهما تشبيه شيئين مشتركين
بشيء واحد كالذي اوردته لابي تمام وهو قليل الاستعمال والآخر تشبيه شيئين
مفردين بشيء واحد كالذي ذكرته لابي الطيب المتنبي وهو كثير الاستعمال
واذ ذكرنا اقسام التشبيه وبينا المحمود منها الذي ينبغي اقتفاء اثره واتباع مذهبه
فلنتبعه بفصل مما ينبغي اجتنابه والاضراب عنه على انه قد قدمنا القول بان حد
التشبيه هو ان يثبت للمشبه حكم من احكام المشبه به فاذا لم يكن بهذه
الصفة او كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذي يطرح ولا يستعمل والذي
يرد منه مضم الاداة لا يكون الا في القسم الواحد من اقسام المجاز وهو التوسع

وقد قدمت القول في ذلك في اول باب الاستعارة وضربت له امثلة منها قول ابي نواس

ما للرجال المال امست شمائلي منك الكلا لا

فانه جعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد لاحاجة الى اعادة ذلك الكلام
هاهنا بجملته لكن قد اشرت اليه اشارة خفيفة ومن اقبح ما سمعته من ذلك
قول ابي تمام

وتقاسم الناس السخاء مجزأ وذهبت انت برأسه وسنامه
وتركت للناس الاهاب وما بقي من فرثه وعروقه وعظامه

والقبح الفاحش في البيت الثاني وكل هذا التعسف في التشبيه البعيد دندنة
حول معنى ليس بطائل فان غرضه ان يقول ذهبت بالاعلى وتركت للناس الادنى
او ذهبت بالجيد وتركت للناس الردي وقد عيب عليه قوله

لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ما بكائي

وقيل انه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما بهذا التشبيه عندي من باس
بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد
من وجه اما سبب قربه فهو ان الملام هو القول الذي يعف به الملوم لاسرة
جناه وذاك مختص بالسمع فنقله ابو تمام الى السنا التي هي مختصة بالحلق كانه
قال لا تذقني الملام ولو نهيا له ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا
لكنه جاء بذكر الماء فحط من درجته شيئا ولما كان السمع يجرع الملام اولا او لا
كجرع الحلق الماء صار كانه شبه به وهو تشبيه معنى بصوره واما سبب بعد
هذا التشبيه فهو ان الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا

الوجه فهذا التشبيه ابعد من وجه فقد قرب من وجه فبغضه هذا لهذا ولذلك
جعلهم من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم ٭ وقد روي وهي رداءة
ضعيفة ان بعض اهل المجانة ارسل الى ابي تمام فاروقة وقال ابعث لي في هذه
شيئا من ماء الملام فارسل اليه ابو تمام وقال اذا بعثت لي ريشة من جناح
الذل بعثت اليك شيئا من ماء الملام وما كان ابو تمام ليذهب عليه الفرق
بين هذين التشبيهين فانه ليس جعل الذل للجناح كجعل الماء للملام فان الجناح
للذل مناسب وذلك ان الطائر اذا وهن وتعب اسبط جناحه وخفضه
والقى نفسه على الارض وللانسان ايضا جناح فانه يذل به جناحاه واذا خضع
واستكان طاطأ من رأسه وخفض من بديه فحسن عند ذلك جعل الذل
للجناح وصار تشبيها مناسبا واما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه
واما التشبيه المظهر الاداة من هذا الباب فقد اورد له لمثلة يستدل
بها على اشباهه وامثاله فان لذكر المثال فائدة لا تكون للاقتصار على ذكر
الحد وحده فمن ذلك قول بعضهم

ملاحة جيبك الشبيه حتى كانه ظبا جرت منها سنيح وبارح

وكذلك قول الآخر يصف السهام

كسا هاربيب الريش فاعتدلت له قداح كاعناق الظبا العوارف

فانه شبه السهام باعناق الظبا وذلك من ابعد التشبيهات وعلى نحو منه
ما قول الفرزدق

يمشون في حلق الحديد كما مشت جرب ابكمان بها الكحل المشعل

ومنه الرمة في دروع الزرد بالحال الجرب وهذا من التشبيه البعيد الا ان
اراد السواد والمقاربة بينهما في اللون لان لون الحديد ابيض ومن اجل ذلك
سميت السيوف البيض ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه صحيح
ومن التشبيهات الباردة قول ابي الطيب المتنبي

وجرى على الورق النجيع الغابي فكانه التاريخ في الاعضاء

وهذا تشبيه ينكره اهل التقسيم واذا قسمت التشبيهات بين البعد والبرد
جاز طرحه في ذلك التقسيم واشنع من هذا التشبيه قول ابي نواس في الخمر وهو

كان بوافيناره واكد حولها وزرق سنانير تدب عيونها

والعجب انه يقول مثل هذا الغث الذي لا ملاءمة بينه وبين ما شبه به ويقرنه
بالبديع النادر الذي احسن فيه وابدع وهو

كانا حلول بين اكناف روضة اذا ما سقيناها مع الليل طيبها

فانظر كيف قرن بين وردة وسعدانة لا بل بين معزة ومرجانة وقد اكثر في
تشبيه الخمر فاحسن في موضع واساء في موضع ومن اساءته قوله ايضا في ابيات
لا يبتدئ فقال

واذا ما الماء واقعها اظهرت شكلا من الغزل
لولوا ينحدرن بها كانحدار الدر من جبل

فشبه الحباب في انحداره نمل صغار ينحدر من جبل وهذا من البعد على غاية لا
يحتاج الى بيان وايضاح واعلم ان من التشبيه ضربا يسمى الطرد والعكس
وهو ان يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع

في الاصل ولا نجد شيئا من ذلك الا والغرض به المبالغة فمما جاء من ذلك
قول ابي ذي الرمة

ورمل كاردان العذاري تطعنه اذا لبسته المظلمات الجنادس

الا تري الى ذي الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع اصلا وذلك ان العادة والعرف
في هذا ان يشبه اعجاز النساء بكثبان الانقاء وهو مطرد في بابه فعكس
ذو الرمة القضية في ذلك فشبه كثبان الانقا باعجاز النساء وانما فعل ذلك
مبالغة اي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاعجاز النساء وصار كانه الاصل
حتى شبهت به كثبان الانقاء وعلى نحو من هذا جا قول البحتري

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

وذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي اولها

سقى المطيرة ذات الظل والشجر فقال في تشبيه الهلال

ولاح صوت مغير كاد يفضحنا مثل الغلامة قد قدت من الظفر

ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كانه هو الاصل وهو موضع من
علم البيان حسن الموقع لطيف المآخذ وهذا قد ذكره ابو الفتح بن جني في
كتاب الخصايص واورده هكذا مهملا ولما نظرت انا في ذلك وانعمت نظري
فيه تبين لي ما اذكره وهو انه قد تقرر في اصل القاعدة المستنبطة من
التشبيه ان يشبه الشيء بما يطابق عليه لفظة افعل اي يشبه بما هو ابين منه واوضح
او بما هو احسن منه او ارجح وكذلك يشبه الاقل بالاكثر والادنى
بالاعلى وهذا الموضع لا ينقض هذه القاعدة لان الذي قدمنا ذكره مطرد

في بابه وعلى مقدار الاستعمال وهذا غير مطرد وانما يحسن في عكس المعنى
المتعارف وذلك ان يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به لاحسن
في غير ذلك مما ليس بمتعارف الا تري ان من العادة والعرف ان يشبه الاعجاز
بالكثبان فلما عكس ذو الرمة هذه القضية في شعر جاء حسنا لايقا وكذلك
فعل البحتري فان من العادة والعرف ان يشبه الوجه الحسن بالبدر والقد
بالقضيب فلما عكس البحتري القضية في ذلك جا ايضا حسنا لايقا ولو شبه
ذو الرمة الكثبان بما هو اصغر منها غير الاعجاز لما حسن ذلك وهكذا
لو شبه البحتري طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير قدها
لما حسن ذلك ايضا وهكذا القول في تشبيه عبد الله بن المعتز صوت
الهلال بالغلامة لان من العادة ان يشبه الغلامة بالهلال فلما صار ذلك
مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه

تم المجلد الاول من كتاب

المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر

الحمد لله وحده
وصلى الله على محمد واله
وسلم

يتهيبي تلك الارض ما أطأ الثرى وما أحسن المصطاف والمتربعا

فانتقل عن الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضى عليه بالتوسع وانما كان يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الاخر ويتاول له بان غرضه من خطاب غيره ان ينفي عن نفسه سمعة الهوى ومعرة العشق لما في ذلك من الشهرة والفضاضة لكن قد زال هذا التاويل باشتغاله عن التجريد اولا الى خطاب النفس وعلى هذا الاسلوب ورد قول ابي الطيب المتنبي

لاخيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

واجز الامير الذي نغماه فاجية بغير قول ونغمى القوم أقوال

وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح بها فاتكا الاخشيدي بمصر وكان وصله بعملة سنية من نفقة وكسوة وطيب قبل ان يمدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهي من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك اياه بالصلة قبل المديح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد في الابيات الثانية المقدم ذكرها وانما هو توسع لاغير **واما القسم الثاني** وهو غير المحض فانه خطاب لنفسك لا لغيرك ولئن كان بين النفس والبدن فرق الا انهما كالشيء الواحد لعلاقة احدهما بالاخر وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذلك اولا بان يسمى تجريدا لان التجريد لا بد فيه وهذا هو نصف تجريد لانك لم تجرد به عن نفسك شيئا وانما خاطبت نفسك بنفسك كانك فصلتها عنك وهي منك فمما جاء منه

قول عمرو بن الاطنابة

أقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي

وكذلك قول الاخر

أقول للنفس تساؤبا تعزيه اجلبي بي أو أصابتني ولم ترد

وليس في هذا ما يصلح ان يكون خطابا لغيرك كالاول وانما المخاطب هو المخاطب بعينه وليس ثم شيء خارج عنه واما الذي ذكره ابو علي الفارسي رحمه الله فانه قال ان العرب تعتقد ان في الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقته ومحصوله فيخرج ذلك المعنى الى الفاظها مجردا من الانسان كانه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سالته لتسالن منه البحر وهو عينه الاسد وهو البحر لان هناك شيئا منفصلا عنه او متميزا منه ثم قال وعلى هذا قط يكون الانسان مخاطب نفسه حتى كانه يقال لغيره كما قال الاعشى

وهل تطيق وداعا أيها الرجل وهو الرجل نفسه لا غيره هذا

خلاصة ما ذكره ابو علي رحمه الله والذي عندي فيه انه اصاب في الثاني ولم يصب في الاول لان الثاني هو التجريد الا ترى ان الاعشى جرد المخاطب عن نفسه وهو يريدها واما الاول وهو قوله لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سالته لتسالن منه البحر فان هذا تشبيه مضمر الاداة اذ يحسن تقدير اداة التشبيه فيه وبيان ذلك انك تقول لئن لقيت فلانا لتلقين منه كالاسد ولئن سالته لتسالن منه كالبحر وليس